

الأخذ بالأسباب لا ينافي الأخذ بالقدر، وثمرات الإيمان به





علي محمد مقبول الأهدل

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 3/5/2014 ميلادي - 3/7/1435 هجري

الزيارات: 87246

الأخذ بالأسباب لا ينافي الأخذ بالقدر وثمرات الإيمان به

يجب ألاَّ يغيب عن بالنا أننا مأمورون بالأخذ بالأسباب مع التوكل على الله تعالى والإيمان أن بيده ملكوت كل شيء، والإيمان بأن الأسباب لا تعطي النتائج إلا بإذن الله تعالى فالذي خلق الأسباب هو الذي خلق النتائج والثمار، فمن أراد النسل الصالح فلا بد أن يتخذ سبباً وهو الزواج الشرعي؛ ولكن هذا الزواج قد يعطي الثمار، وهي النسل، وقد لا يعطي، حسب إرادة العزيز الحكيم، ومشيئة اللطيف الخبير: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: 49، 50]، ولهذا يحرم على المسلم ترك الأخذ بالأسباب، فلو ترك إنسان السعي في طلب الرزق لكان آثماً، مع أن الرزق بيد الله.

وقد بين صلى الله عليه وسلم أن الأسباب المشروعة هي من القدر، فقيل له: "أرأيت رقى نسترقي بها، وتقى نتقي بها، وأدوية نتداوى بها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ فقال: هي من قدر الله"[1].

فالالتفات إلى الأسباب واعتبارها مؤثرة في المسببات، شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع.

ولهذا بكَّتَ عمرُ بن الخطاب جماعة من أهل اليمن، كانوا يحجون بلا زاد فذمهم؛ قال معاوية بن قرة: لقي عمر بن الخطاب ناساً من أهل اليمن، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، قال: بل أنتم المتواكلون، إنما المتوكل الذي يلقي حَبَّه في الأرض ثم يتوكل على الله[2].

ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر:

1- الاعتماد على الله وحده، لأن كل شيء بقدر الله.

2- أن الإيمان بالقدر يعصم الإنسان بإذن الله من البطر والطغيان إذا أصابه الخير، ومن الحزن والأسى إذا أصابه الشر؛ لأن ما حدث قد جرت به المقادير وسبق به علم الله. وما أحسن ما قاله إبراهيم الحربي / حين قال: "من لم يؤمن بالقدر لم يتهن بعيشه".

3- ألا يُعْجَب المرء بنفسه عند حصول مراده؛ لأن حصول ذلك المراد نعمة من الله الذي قدر حصولها، وإعجاب المرء بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

4- القوة والثبات في الحق، لأن الأرزاق والآجال مقدرة، ولا يملك أحد سوى الله تغييرها بالنقص أو الزيادة.

5- الإيمان بالقدر يغرس القناعة في نفس المؤمن.

6- أن الإيمان بالقدر يقضي على كثير من الأمراض التي تعصف بالمجتمعات وتزرع الأحقاد بين الناس، وذلك مثل رذيلة الحسد؛ فالمؤمن لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله؛ لأنه يدرك أن الله هو الذي رزقهم وقدر لهم ذلك، وهو يعلم أنه عندما يحسد غيره؛ فإنه يعترض على ما قدره الله.

7- الصبر على المصائب، قال صلى الله عليه وسلم: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر؛ فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر؛ فكان خيراً له"[3] [4].

---

[1] أخرجه الترمذي في كتاب الطب باب(21) ما جاء في الرقى والأدوية (4/399) حديث رقم (2065) وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي كتاب الطب باب (20) في الرقى والأدوية، (ص:231) حديث رقم (359).

[2] الإيمان، د. محمد نعيم ياسين، (ص:163).

[3] الحديث رواه مسلم في كتاب الزهد باب (المؤمن أمره كله خير) حديث رقم (999).

[4] انظر: المدخل إلى الثقافة الإسلامية، مجموعة مؤلفين، (ص:156)، والقضاء والقدر، د. عبدالرحمن المحمود، (ص:447)، و القضاء والقدر، د. عمر الأشقر، (ص:109) وركائز الإيمان، محمد قطب، (ص:426).
